أثر أساليب القراءة القرآنية في تدبر المعنى
-بيان وتقويم-

إعداد الدكتور: مهدي دهيم
أستاذ القراءات المحاضر
بكلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر1

المقدمة

الحمد الله الذي خصَّ من عباده من شاء لتلقي كِتابه، وجعل العَرْضَ والسماع أصْلاً لقراءته وإسناده، وهيأ وسائل لتِلاَوته وترنُّمِّه وتحبيره؛ فاهتمَّ لذلك أئمة الأداء، وانبرى لتعليمه الثِّقَةُ من القُرَّاء، فاتخذوا مجالس للتَّدَبُّرِ والتَّذَكُرِ والعملِ والإصغاء، واشتغلوا بترديده وتعبَّدوا الله بذلك إلى أن وصفوا بأولي الصنعة في الإقراء، قال الحافظ ابن الجزري-رحمه الله تعالى-: «.. والأمة كما هم متعبَّدون بفهم معاني القرآن وأحكامه، متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية التي لا يجوز مخالفتها»[1].

ومن فوائد تلاوة القرآن «..أن يرسخ حفظُه ويتلقاه السامعون فيعلَقُ بحوافظهم، ويتدبر قارئُه وسامعه معانيَه؛ كي لا يسبق لفظُ اللسان عملَ الفهم»[2]، وانطلاقا من عناية علماء التجويد والقراءة بمراتب التلاوة، وبيان أئمة التفسير لمرادها ومقاصدها أحببت أن أبين أثر أساليب القراءة في تدبر المعنى من خلال هذا البحث.

(1) النشر في القراءات العشر:1/ 5.

(2) التحرير والتنوير: 15/ 379.

يُعنى البحث ببيان أساليب قراءة القرآن الكريم مع الموازنة بين القراءة المرتلة وغير المرتلة ، ويهدف إلى بيان أثر القراءة المترَّسلة في تدبر المعنى وما مدى تأثيرها في نفس القارئ أو السامع..

سبب اختيار الموضوع وأهميته:

- تعلقه بجانب مهم؛ وهو تلاوة كتاب الله تعالى، ومعلوم ما ورد في ذلك من الفضل العظيم، والثواب الجزيل.
- أنَّ الأمة متعبدة بتلاوة كتاب الله تعالى على صفة مخصوصة، مما يقتضي بيان وسائل القراءة ومراتبها مع بيان أثر ذلك في نفس القارئ أو السامع لغرض التدبر أو التذكر.
- أنَّ قراءة القرآن بترسل وتؤدة تظهر فصاحة اللفظ وجماله، وتبرز المعنى.
- أنَّ المقصد الأسمى من قراءة القرآن هو التدبر والتذكر.

منهج البحث:

لقد سلكت في هذا البحث المنهج العلمي المتعارف عليه في كتابة البحوث العلمية، وفيما يأتي أهم معالمه:

المنهج التاريخي: وذلك بتتبع نصوص أئمة القراءة والأداء وأئمة التفسير معتمدا على الكتب الأصيلة -حسب ما وقفت عليه-.

المنهج الوصفي: وذلك بجمع نصوص أئمة التجويد والأداء وأئمة التفسير المنقولة، وتصنيفها وتحليلها وتوظيفها بما يخدم أهداف البحث ومتطلباته.

خطة البحث:

قسَّمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث:

المقدَّمة: وفيها أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث وخِطَّته.

التمهيد: وفيه: أهمية أحكام التلاوة في قراءة القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أساليب القراءة.

المبحث الثالث: التحقيق وأثره في تدبر المعنى.

المبحث الرابع: الحدر وأثره في تدبر المعنى.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد: وفيه: أهمية أحكام التلاوة في قراءة القرآن الكريم.

التجويد هو العلم بأصول وقواعد يُتوصَّل بها إلى معرفة كيفية أداء اللفظ القرآني كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ؛ وذلك بالإتيان بالقراءة مجوَّدة الألفاظ بتقويم حروفها، وإعطائها حقها، وتوفيتها واجب مستحقها، من غير إفراطٍ ولا تفريط سالمةً من تمضيغ اللسان، وتقعير الفم، وتعويج الفكِّ إلى غير ذلك مما تنفر منه الطبَّاع، وتمجُّه القلوب والأسماع[1].

والتَّجْوِيدُ: هُوَ حِلْيَةُ التِّلَاوَةِ، وَزِينَةُ الْقِرَاءَةِ، وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حُقُوقَهَا وَتَرْتِيبُهَا مَرَاتِبَهَا، وَرَدُّ الْحَرْفِ إِلَى مَخْرَجِهِ وَأَصْلِهِ، وَإِلْحَاقُهُ بِنَظِيرِهِ وَتَصْحِيحُ لَفْظِهِ وَتَلْطِيفُ النُّطْقِ بِهِ عَلَى حَالِ صِيغَتِهِ، وَكَمَالِ هَيْئَتِهِ؛ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَعَسُّفٍ وَلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَكَلُّفٍ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ ، يَعْنِي عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ رضي الله عنه قَدْ أُعْطِيَ حَظًّا عَظِيمًا فِي تَجْوِيدِ الْقُرْآنِ وَتَحْقِيقِهِ وَتَرْتِيلِهِ كَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – فَمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مُجَوَّدًا مُصَحَّحًا كَمَا أُنْزِلَ تَلْتَذُّ الْأَسْمَاعُ بِتِلَاوَتِهِ، وَتَخْشَعُ الْقُلُوبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، حَتَّى يَكَادَ أَنْ يَسْلُبَ الْعُقُولَ وَيَأْخُذَ الْأَلْبَابَ؛ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَى يُودِعُهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ[2].

(1) لطائف الإشارات للقسطلاني:2/ 423.

(2) النشر في القراءات العشر:1/ 212.

وتطبيق قواعد التجويد والتلاوة في قراءة القرآن هو وصف لما ثبت من صفة قراءة النبي ﷺ للقرآن العظيم التي تلقاها النبي ﷺ من جبريل عليه السلام مشافهةً، سماعاً من جبريل عليه السلام وعرضا من النبي ﷺ كما هو مدوَّنٌ في السنن والآثار.

وعلم التلاوة والأداء من السَّننَ التي دأب على تعلمه المسلمون، فلم يكن اختراعاً من أهل العلم، بل هو متلقًّى بالتواتر عن النبي ﷺ أمةً عن أمةٍ، وفائدة مدارسة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ تعليم الرسول ﷺ تجويد لفظه-أي القرآن- وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، وليكون سنَّةً في حقِّ الأمة لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءتَهم[1].

قال ابن أمِّ قاسم المرادي: «.. والقراء مجمعون على التزام التجويد في جميع أحوال القراءة، من ترتيل وحدر وتوسط، وربما توهم قوم أن التجويد إنما يكون مع الترتيل؛ لاعتقادهم أن التجويد إنما هو الإفراط في المد وإشباع الحركات ونحو ذلك مما لا يتأتى مع الحدر، وليس كما توهموه وإنما حقيقة تجويد القراءة ما قدمته لك، وذلك متأتٍ مع الحدر كما يتأتى مع الترتيل، ولا يُنكَر أن الأخذ بالترتيل أتمُّ مداً وتحريكاً وإسكاناً من الأخذ بالحدر، ولكن لابد في جميع ذلك من إقامة مخارج الحروف وصفاتها»[2].

وتتصف مفردات القرآن في نظر الدارسين الذين تطرقوا إلى جماليتها ولذَّتها بخصائص وسمات بلاغية وأسلوبية، يمكن إجمالها في تلاؤم أنغامها وحسن اتساقها ودقة اختيارها وتشكيل أصواتها وعذوبة، ولذِّة مسموعها واتساق تركيبها واتساع معانيها وسلامتها من العيوب، وشكل التكرار الصوتي في القرآن العظيم ظاهرة فنية بارزة ملفتة للسمع والفكر؛ لأنها تخاطب الآذان والأذهان وتسترعي الأسماع

(1) لطائف الإشارات للقسطلاني:2/ 425-426.

(2) المفيد في شرح عمدة المجيد: ص38.

والطباع، وتخلف إيقاعا مُترنِّماً ونَغَماً يجعل السامع تنشرح نفسه وتتهيأ للتفاعل الإيجابي مع مضامين الخطاب[1].

والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة[2]؛ وذلك موجب لتدبره فتكشف له مهماته وينجلي عليه أسراره وخفياته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «.. وَلَا يَجْعَلُ هِمَّتَهُ فِيمَا حُجِبَ بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ الْعُلُومِ عَنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ إمَّا بِالْوَسْوَسَةِ فِي خُرُوجِ حُرُوفِهِ وَتَرْقِيقِهَا وَتَفْخِيمِهَا وَإِمَالَتِهَا وَالنُّطْقِ بِالْمَدِّ الطَّوِيلِ وَالْقَصِيرِ وَالْمُتَوَسِّطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَإِنَّ هَذَا حَائِلٌ لِلْقُلُوبِ قَاطِعٌ لَهَا عَنْ فَهْمِ مُرَادِ الرَّبِّ مِنْ كَلَامِهِ»[3].

المبحث الأول:
مفهوم تدبر القرآن الكريم

التدبُّر لغة: مأخوذ من مادة (د ب ر) وهي آخر الشيء وخلفه، يقال: دبَّر الأمر وتدبَّره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره، والتَّدبُّر في الأمر: التفكُّر فيه[4]، وأصل التدبر: التَّأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كلِّ تأمُّلٍ سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه[5].

(1) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم للباحث: عبد العزيز آيت بها، رسالة علمية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة القاضي عياض بمدينة مراكش-المملكة المغربية-.

(2) تفسير الرازي: 16 107.

(3) مجموع الفتاوى: 16/ 51

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (د ب ر)، وتاج العروس للزبيدي: 11/ 265.

(5) روح المعاني للآلوسي: 5/ 92.

قال أبو حيان الأندلسي: «....فَإِنَّهُ فِي تَدَبُّرِهِ-أي القرآن- يَظْهَرُ بُرْهَانُهُ وَيَسْطَعُ نُورُهُ وَلَا يَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يَتَأَمَّلْهُ»[1].

وقال العلامَّة السعدي رحمه الله: «الإقبال على تدبره- أي: القرآن - وتفهمه وكثرة التفكر في ألفاظه ومعانيه ولوازمها، وما تتضمنه، وما تدل عليه منطوقاً ومفهوماً، فإذا بذل وسعه في ذلك، فالرب أكرم من عبده، فلا بد أن يفتح عليه من علومه أموراً لا تدخل تحت كسبه»[2].

«...وَالتَّدَبُّرُ يَتَعَدَّى إِلَى الْمُتَأَمِّلِ فِيهِ بِنَفْسِهِ، يُقَالُ: تَدَبَّرَ الْأَمْرَ، فَمَعْنَى يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ يَتَأَمَّلُونَ دَلَالَتَهُ، وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالَةَ تَفَاصِيلِ آيَاتِهِ عَلَى مَقَاصِدِهِ الَّتِي أَرْشَدَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ، أَيْ تَدَبُّرُ تَفَاصِيلِهِ وَثَانِيهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالَةَ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ بِبَلَاغَتِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهَّ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ صَادِقٌ. وَسِيَاقُ هَذِهِ الْآيَاتِ يُرَجِّحُ حَمْلَ التَّدَبُّرِ هُنَا عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، أَيْ لَوْ تَأَمَّلُوا وَتَدَبَّرُوا هَدْيَ الْقُرْآنِ لَحَصَلَ»[3].

قال الإمام عبد الله بن ذكوان المقرئ: «.. يجب على قارئ القرآن أن يقرأ بترتيل وترسل، وتدبُّر وتفهم وخشوع، وبكاء ودعاء وتحفظ وتَثبُّت»[4].

واعلم –وفقك الله تعالى-أنَّ الله أنزل هذا الكتاب وجعل حكمه بين أمرين: التدبُّر والتذكر، فمن لم يحصل له في قراءته أو سماع تلاوته تدبر ولا تذكر لم يفز بنائل، ولم يحظ بكبير طائل[5].

(1) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي: 3/ 725.

(2) تفسير السعدي: ص30..

(3)التحرير والتنوير:5/ 137.

(4) جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي:2/ 526

(5) بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء تأليف أبي علي الحسن بن أحمد بن البناء: ص46

المبحث الثاني:
أساليب القراءة

لقد درس علماء التجويد والأداء الكيفية التي يجب أن يسلكها قارئ القرآن في نطق ألفاظ الذكر الحكيم من حيث السرعة والتمهل، ووضحوا الطرائق التي التزمها القراء وتناقلوها، وبينوا مذهب القراء السبعة في ذلك، وحددوا المختار لدى كل واحد منهم؛ إذ أنَّ النطق بالألفاظ عند الكلام يتفاوت حسب حاجة المتكلم وما يقتضيه المقام، وقد سمى بعض علماء القراءة والتجويد الكيفية التي يجب أن يقرأ بها القرآن باسم أسلوب القراءة قال ابن الباذش الغرناطيُّ في باب اختلاف مذاهبهم في كيفية التلاوة وتجويد الأداء: «اعلم أنَّ القراء مجمعون على التزام التجويد، وهو إقامة مخارج الحروف وصفاتها، فأما أسلوب القراءة من حدر وترتيل، بعد إحراز ما ذكرنا، فهم فيه متباينون غير مستوين»[1].

وسماها أبو الفضل الرازي (ت 454هـ) بأوجه القراءة؛ حيث قال: «القراءة على ثلاثة أوجه: ترتيل، وحدر، وزمزمة»[2]، وقال الحافظ ابن الجزري-رحمه الله-: «يقرأ بالتحقيق وبالحدر وبالتدوير، الذي هو التوسط بين الحالين، مرتِّلا بلحون العرب وأصواتها وتحسين اللفظ والصوت بحسب الاستطاعة»[3].

وَحَدَّ ترتيلُ القراءة وحَدرُها التحقيقُ، وهو من الحقِّ، والحقُّ هو النهاية التي لا مَقْصَرَ دونها، ولا متجاوز وراءها[4].

(1) الإقناع الابن الباذش:1/ 552.

(2) نقلا عن الإيضاح:1/ 63

(3) النشر في القراءات العشر:1/ 205.

(4) التحديد في الإتقان والتجويد للداني: ص72، الموضح في التجويد: ص 216، النشر في القراءات العشر: ص205.

وقال أبو العلاء الهمذاني العطار: «..ومن بعد فاعلم أنَّ هذه الأوجه التي ذكرناها تؤول إلى ضربين: أحدهما التحقيق، والآخر الحدر، وإنما يحمد هذان الضربان إذا صاحبهما التجويد»[1].

وقال الشيخ أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي -رحمه الله-:«القراءة على ثلاثة أوجه: ترتيل، وحدر، وزمزمة، والتجويد والإحسان مصحوباها، فالترتيل للفكرة، والإفادة والرياضة، والحدر للاستكثار والدراسة، والزمزمةُ القراءةُ في النفس خاصة»[2] و هي ضرب من الحدر.

(1) التمهيد في معرفة التجويد:ص188.

(2) نقلا عن الإيضاح للأندرابي:1/ 63، والتمهيد: ص 183.

المبحث الثالث:
التحقيق وأثره في تدبر المعنى

التحقيق هو الإتيان بالقراءة محققة في أعلى درجات الإتقان والتأني، وقد عرفه الإمام أبو عمرو الداني بقوله: «التحقيق مصدر حققت الشيء، أي عرفته يقيناً، والعرب تقول: بلغت حقيقة هذا الأمر، أي بلغت يقين شأنه، والاسم منه الحق، فمعناه أن يؤتى بالشيء على حقه من غير زيادة فيه ولا نقصان منه»[1].

ويبين الإمام الداني في كتابه(التحديد) معنى التحقيق عند علماء القراءة فيقول : «اعلموا أن التحقيق الوارد عن أئمة القراءة حده أن تُوفَّى الحروف حقوقَها من المد إن كانت ممدودة، ومن التمكين إن كانت ممكنة، ومن الهمز إن كانت مهموزة، ومن التشديد إن كانت مشددة، ومن الإدغام إن كانت مدغمة، ومن الفتح إن كانت مفتوحة، ومن الإمالة إن كانت متحركة، ومن السكون إن كانت مسكّنة، من غير تجاوز ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف»[2].

ويستعمل الترتيل للتدبُّر والتَّفكر والاستنباط، وهو جنس من أجناس التحقيق، وليس منه في الحقيقة...وأما التحقيق فيستعمل لرياضة الألسن، وترقيق الألفاظ الغليظة، وإقامة القراءة على حقها، وإعطاء كل حرف حقه، من المدِّ والهمز وإشباع الحركات وغير ذلك ...، ويُؤمَن معه تحريك ساكن، واختلاس حركة متحرك، وزيادة في إشباع الحركات.

..وباستعمال الترتيل والترسُّل جاء نصّ التنزيل من عند رب العالمين، ووردت به الآثار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين.

(1) التحديد في الإتقان والتجويد: ص 72.

(2) التحديد في الإتقان والتجويد:ص89.

قال الله تعالى:(ورتل القرآن ترتيلا)، قيل: قطعه حرفا حرفا، وقيل بينه تبيانا[1].

وروى الداني بسنده عن ابن مجاهد في قوله تعالى:(ورتل القرآن ترتيلا) ترسَّل فيه ترسُّلا[2]، وروى كذلك بسنده عنه قال: في قوله تعالى:(لتقرأه على الناس على مكث) أي: على تُؤده[3]، فالتدبر لا يحصل للقارئ إلا باستعمال الترتيل، فهو إذا استعمله، ووفقه مولاه الكريم، ووهبه الفهم، انتفع بما يتلوه؛ لوقوفه على الأمر والنهي، والندب والترغيب، والوعد والوعيد، وذكر الجنة والنار، والثواب والعقاب، وغير ذلك مما لا يدرك التالي حقيقته، ولا المراد به بالحدر والهذرمة[4].

قال الإمام الخاقاني في رائيته:

وَالْحَدْرَ فَاسْتَعْمِلْهُ إِنْ أَرَدْتا ... مَتَى عَرَضْتَ أَوْ مَتَى دَرَسْتَا[5]

قال الإمام الدانيُّ في المنبِّهَةِ:

فَاسْتَعْمَلِ التَّرْتِيلِ والتَّحْقِيقَا ... وَاسْأَلْ هُدِيتَ الْعَوْنَ والتَّوْفِيقَا

وَجَوِّدْ الْحُرُوفَ لَا تَتْرُكْهَا ... عَارِيَةً من ذَاكَ بَلْ فَكِّكْهَا

مِنْ غَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا إِسْرَافِ ... إِذْ ذَاكَ مَكْرُوهٌ بِلَا خِلَافِ

(1) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني: 2/ 92-93.

(2) المصدر السابق: 2/ 94.

(3) المصدر السابق: 2/ 94.

(4) المصدر السابق: 2/ 92-93.

(5) انظر: منبهة الإمام أبي عمرو الداني:2/ 575.

(6) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني: 2/ 92.

(7) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني: 2/ 87.

والأحاديث الدالة على قراءة التحقيق كثيرة منها ما رواه الإمام مالك عن حفصة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي في سبحته أي نافلته قاعداً قط حتى كان قبل وفاته بعام، فإنه كان يصلي في سبحته قاعداً، ويقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[1].

وروى النسائي بإسناده عن يعلى بن مملك أنه سأل أمَّ سلمة عن قراءة رسول ﷺ فقالت: «مالكم وصلاته، ثم نعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءةً مفسرةً حرفاً حرفاً»[2].

وروى البخاري عن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مداً. وفي رواية قال: كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحيم الرحمن) يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[3]، وقد ثبتت قراءة التحقيق بالأسانيد الصحيحة الصحيحة المتصلة إلى رسول الله ﷺ وفي هذا يقول الإمام أبو عمرو الداني: «حدثنا أبو الفتح شيخنا، حدثنا عمر بن محمد، حدثنا الحسن بن أبي الحسن العسكري، حدثنا محمد بن الحسن بن عمير، حدثنا عبد الرحمن بن داود بن أبي طيبة قال: قرأت على أبي التحقيق وأخبرني أنه قرأ على ورش التحقيق قال: وأخبرني ورش أنه قرأ على نافع التحقيق، قال نافع: إنه قرأ على الخمسة التحقيق[4].

(1) الموطأ: ص 98، رقم الحديث 306.

(2) سنن النسائي، 2/ 181.

(3) صحيح البخاري: 6/ 112 كتاب فضائل القرآن.

(4) الخمسة شيوخ نافع هم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ويزيد ين رومان، وشيبة بن نصاح، وعبدالرحمن من هرمز الأعرج، ومسلم بن جندب. النشر 1/ 207.

قال: وأخبرني الخمسة أنهم قرؤوا على عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة التحقيق، وأخبرهم عبد الله أنه قرأ على أبي بن كعب التحقيق، وأخبره أنه قرأ على رسول الله ﷺ التحقيق، قال: وقرأ النبي ﷺ عليَّ التحقيق»[1].

قال الإمام ابن كثير في قوله تعالى:(ورتل القرآن ترتيلا):«أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبُّره وكذلك كان يقرؤه ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: (كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها)»[2].

وإنما جاء الفعل مؤكَّدا بالمصدر-في الآية-؛ ليدلَّ على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة[3]؛ ليكون ذلك عونا على تدبُّره، ويوضح هذا المفهوم قول الله تعالى:(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا).

(1) التحديد في الإتقان والتجويد: ص 79.

(2) تفسير القرآن العظيم: 8/ 250.

(3) فتح القدير للشوكاني: 5/ 379.

المبحث الرابع:
الحدر وأثره في تدبر المعنى

الحدر هو أن يقرأ القارئ قراءةً سهلةً سريعةً خفيفةً، لا سكتَ فيها ولا قطع ولا مدّاً طويلاً ولا إشباعاً شديداً ولا تشديداً قوياً، من غير أنْ يُخِلَّ بحرف، بل يؤدي كلَّ حرف حقَّه من السكون والحركة والمدّ والتشديد، وهو يمرُّ في قراءته مع هذه الشرائط مرّاً سريعاً[1].

وقال ابن أمِّ قاسم المرادي: «وأما الحدر فهو القراءة السهلة السمحة العذبة الألفاظ اللطيفة المعنى، التي لا تخرج القارئ عن طباع العرب، وعما تكلمت به الفصحاء»[2].

قال الإمام الدانيُّ في المنبِّهة:

وَالْحَدْرَ فَاسْتَعْمِلْهُ إِنْ أَرَدْتَا مَتَى عَرَضْتَ أَوْ مَتَى دَرَسْتَا[3]

وقال الخزاعي: «إنّما يستعمل القارئ الحدر وسرعة القراءة مع تقويم الألفاظ لتكثر حسناته، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات[5]، وذلك بعد معرفتة بالمدّ، من غير تمطيط، وبالهمز من غير لكز لساكنه و متحركه، بل يأتي بها بسهولة، من غير عُنف ولا صعوبة، قال: وقيل لابن مجاهد: مَنْ أقرأ الناس؟ قال: من حَقَّقَ في الحدر»[6].

(1) التحديد للداني: ص 73، الموضح في التجويد: ص 213-214، النشر: 1/ 207.

(2) المفيد في شرح عمدة المجيد، ص157- 156.

(3) منبهة الإمام أبي عمرو الداني: 2/ 575.

(4) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني: 2/ 87.

(5) سنن الترمذي 4/ 248، التحديد للداني: 73.

(6) نقلا عن الإيضاح للأندرابي:1/ 63.

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جمرة قال: «قلت لابن عباس إنِّي سريع القراءة، إنِّي أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لأن أقرأ سورة من القرآن في ليلة فأتدبَّرها وأرتِّلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كما تقرأ»[1].

قال محمد بن كعب القرظي: «لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ (إذا زلزلت، والقارعة، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهم أو أتفكَّرُ، أحبُّ إليَّ من أن أهذَّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال أنثره نثرا»[2].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذُّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، لا يكن همُّ أحدكم آخر السورة»[3].

وروى الداني بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «أتاه رجل فقال: أقرأ القرآن بالمفصَّل في ركعة؟ فقال: هذّاً كهذِّ الشعر، ونثراً كنثر الدَّقَل»[4].

والهذُّ لغةً: سرعة القطع وسرعة القراءة، فكأن ابن مسعود ﷺ أنكر على الرجل أن يقرأ المفصل في ليلة يهذُّه هذًّا أي يقرؤه قراءة سريعة.

قال الإمام النوويﷺ: «معناه أن الرجل أخبر بكثرة حفظه وإتقانه، فقال ابن مسعود ﷺ: تهذُّه هذّاً، وهو بتشديد الذال، وهو شدة الإسراع والإفراط في العجلة، ففيه النهي عن الهذّ، والحث على الترتيل والتدبر وبه قال جمهور العلماء»[5].

(1) فضائل القرآن لأبي عبيد:ص157، أخلاق حملة القرآن للآجري: ص95، شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني: 2/ 97.

(2) الزهد لابن المبارك:ص97، حلية الأولياء لأبي نعيم:3/ 214.

(3) أخلاق حملة القرآن للآجري: ص38.

(4) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني: 2/ 98.

(5) شرح صحيح مسلم 6/ 104، 105.

قال الإمام الداني:«... فإذا حَدَر قراءته ولم يُرتِّلها، أتى في حَدْرِه بما كان يأتي به في ترتيله، من تمكين الحروف، وإخراجها على صفتها، واللفظ بها على حقائقها، وذلك كالألف والواو والياء اللائي ربما سقطن من لفظ القارئ عند الإسراع، واستعمال الحدر لخفائهنَّ»[1].

وقرر هذا أبو مزاحم الخاقاني فقال:

فَذُو الْحِذْقِ مُعْطٍ لِلْحُرُوفِ حُقُوقَهَا إِذَا رَتَّلَ الْقُرْآنَ أَوْ كَانَ ذَا حَدْرِ[2]

فأمَّا من لم تتحقق درايته، ولا استكملت معرفته، فقلَّ ما يأتي ببعض ما ذكرناه على ما وصفناه في حال التحقيق، فضلا عن الحدر الذي لا يتقنه إلا مخصوص، ولا يضبطه إلا حاذق[3].

وروى الداني بسنده عن جعفر بن شكل قال: جاء رجل إلى نافع فقال: تأخذ عليَّ الحدر؟ فقال: نافع: ما الحدر؟ ما أعرفها، أسمعنا، فقرأ الرجل، فقال: نافع: الحدر-أو قال: حدرنا- أن لا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشددا، ولا نشدِّد مخففاً، ولا نقصر ممدوداً، ولا نم مقصوراً، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب الرسول ﷺ سهل جزل، لا نمضغ ولا نلوك، ننبِر ولا ننتهر، نُسهل ولا نشَدد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها، لا نلتفت إلى أقاويل الشعراء، وأصحاب اللغات، أصاغرٌ عن أكابر، مليٌّ عن وفيٍّ، ديننا دين العجائز، وقراءتنا قراءة المشايخ[4].

وليحذر القارئ من السرعة في التلاوة التي تؤدي إلى تخليط كلماته، وتذهب بحلاوته، وتمنع من بقاء أثره في النفس، وليحذر من ذهاب قلبه مسترسلا مع

(1) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/ 87.

(2) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/ 87.

(3) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/ 88.

(4) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني للإمام الداني:2/ 89.

خواطره، منصرفا عن تدبُّره والتَّذكر به، وإذا عرضت له الخواطر فليصرفها ليدفعها، وليحمل فكره على تدبُّر آيات الكتاب، ولا ينقطع عن التلاوة إذا كانت تلك الخواطر لا تفارقه، فإن تصميمه على دفعها مع تكاثرها من جهاده لنفسه، الذي يثاب عليه، وينتهي به في الأخير إلى لانتصار عليها[1].

وقال المفسِّرون في معنى قوله:(ورَتِّلِ القُرآنَ تَرتِيلاً): بَيِّنهُ تَبييناً[2]، والتَبيينُ لا يتمُّ بأنْ يعجلَ في قراءة القرآن، وإنما يتمَّ بأنْ يبين جميع حروفه، مع توفية حقوقها كما ذكرنا[3].

والزمزمة: صوت خفي لا يكاد يُفهم، يقال: زمزم العلج إذا تكلف الكلام عند الأكل وهو مطبق فهمه، والزمزمة: الصوت البعيد تسمع له دوياً، وفرس مُزمزِم في صوته إذا كان يطرِّب فيه[4].

وقد ذكر هذين النوعين من القراءة عدد من علماء التجويد، منهم أبو معشر الطبري وابن أبي مريم الشيرازي، ويفهم من كلامهم أن المقصود بالزمزمة القراءة في النفس بصوت خفي، سواء أكان هذا الصوت بتؤدةٍ وأناةٍ أم كان بعجلة وإسراع[5].

(1) مجالس التذكير: 1/ 87.

(2) تفسير الطبري: 19/ 127، التمهيد: ص 144-146.

(3) النشر في القراءات العشر:1/ 208-209.

(4) لسان العرب، مادة (زمم).

(5) التلخيص في القراءات الثمان: ص32. والموضح لابن أبي مريم الشيرازي: 1/ 157،158.

الخاتمة

وتشتمل على أهمِّ نتائج البحث:

- القراءة المجوَّدة هي الباب الأول لفهم القرآن وتدبُّره، ووسيلته للقراءة المتأنية.
- أنَّ قراءة القرآن بتدبر وتفهم تجعل في النفس حلاوة وطمأنينة وشفاء وبركة.
- نصَّ الأئمة على جواز استعمال مرتبة الحدر في حالة العرض والدراسة بشرط مراعاة قواعد التلاوة والأداء.
- دعوة الباحثين إلى دراسة المعاني الجمالية في القرآن الكريم من خلال الجوانب الأدائية؛ مما يعين على تدبُّر القرآن والتفكُّر فيه والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده والتأدُّب بآدابه.

فهذا ما يسر الله لي جمعه وترتيبه، وصلى اللهّ على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

- الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى 1399هـ.
- الإيضاح في القراءات للإمام الحافظ المقرئ أبي عبد الله أحمد بن أبي عمر الشهير بالأندرابي (ت بعد500هـ) دراسة وتحقيق: الدكتوراه: منى عدنان غني، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من كلية التربية للبنات في جامعة تكريت-العراق-.
- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت(745هـ)، تحقيق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى1413هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام الزبيدي (1205هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهدى.
- التحديد في الإتقان والتجويد للإمام أبي عمرو الداني (ت444هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار الأردن، الطبعة الأولى2000م.
- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر:1990م.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) للعلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر-تونس-سنة النشر 1984م.

- التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار الطبعة الأولى1420هـ.
- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي، (ت643)، تحقيق: علي حسين البواب مكتبة التراث مكة الطبعة الأولى 1408هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام أبي الفضل محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزهد للإمام عبد الله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية «بدون تاريخ».
- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحيق مروان العطية وزملاءه، دار بن كثير دمشق بيروت الطبعة الأولى 1415هـ.
- شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء وحُسن الأداء للإمام أبي عمرو الداني(ت444هـ)، دراسة وتحقيق غازي بنيدر العمري رسالة علمية ماجستير بقسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين-جامعة أم القرى- السعودية عام1418هـ.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت923هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، السعودية.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت546هـ)، المجلس العلمي بفاس.
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير للإمام عبد الحميد بن باديس، عناية وتخريج، أبو عبد الرحمن محمود، مكتبة دار الرشيد، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى، 1430هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، 1417 هـ.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ)، اعتنى به الدكتور: محمد عوض مرعب، والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى1422هـ.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، قام بجمعها: الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم وساعده ابنه محمد، تحقيق: أنور الباز-عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ.
- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.
- المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد للحسن بن قاسم المرادي (ت749هـ)، تحقيق: جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ، مصر.
- منبهة الإمام المقرئ أبي عمرو الداني (ت444هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور لحسن بن أحمد وكاك، الطبعة الأولى1430هـ.
- الموضح في التجويد لعبد الوهاب بن محمد القرطبي ت(461هـ)، تقديم وتحقيق: د.غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع-الأردن-الطبعة الأولى1421هـ.

- الموضح في وجوه القراءات وعللها، لأبي مريم نصر بن علي الشيرازي، (ت بعد 565هـ) تحقيق: د.عمر حمدان الكبيسي، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن بجدة، الطبعة الأولى،1414هـ.
- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن الجزري، (ت833هـ)، تصحيح علي محمد الضباع، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.